

روح المعاني

إستمالتهم نحو الحق وإستنزالهم إلى قبوله وإتباعه غب تحذيرهم من غوائل الضلال بما تلا عليهم من القوارع وإيدان بأن جميع ذلك مسوق لمصالحهم وهذا وجه الربط بما تقدم وقال أبو حبان في ذلك : أنه تعالى لما ذكر الأدلة على الألوهية والوحدانية والقدرة ذكر الدلائل الدالة على صحة النبوة والطريق المؤدي إليها وهو المتصف بهذه الأوصاف الأولى وأولى ولا يأباه عموم الخطاب كما هو الظاهر وإختاره الطبري خلافا لمن جعله خاصا بقريش والموعظة كالوعظ والعظة تذكير ما يلين القلب من الثواب والعقاب وقيل : زجر مقترن بتخويف والشفاء الدواء ويجمع على أشفية وجمع الجمع أشافي والهدى معلوم مما مر غير مرة والرحمة الإحسان أو إرادته أو صفة غيرهما لائقة بمن قامت به و من ربكم متعلق بجاء و من إبتدائية أو بمحذوف وقع صفة لموعظة و من يبعيضية والكلام على حذف مضاف أي موعظة من مواعظ ربكم و لما إما متعلق بما عنده واللام مقوية وأما متعلق بمحذوف وقع نعتا له وكذا يقال على ما قيل فيما بعد والمراد قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع كاشف عن أحوال الأعمال حسنها وسيآتها مرغب في الأولى ورادع عن الأخرى ومبين للمعارف الحققة المزيلة لأدواء الشكوك وسوء مزاج الإعتقاد وهاد إلى طريق الحق واليقين بالإرشاد إلى الإستدلال بالدلائل الآفاقية والأنفسية ورحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان وتخلصوا من دركات النيران وإرتقوا إلى درجات الجنان قال بعض المحققين : إن في ذلك إشارة إلى أن للنفس الإنسانية مراتب كمال من تمسك بالقرآن فاز بها أحدها تهذيب الظاهر عن فعل ما لا ينبغي وغلبيه الإشارة بالموعظة بناء على أن فيها الزجر عن المعاصي وثانيها تهذيب الباطن عن العقائد الفاسدة والملكات الردية وإليها الإشارة بشفاء لما في الصدور وثالثها تحلي النفس بالعقائد الحققة والأخلاق الفاضلة ولا يحصل ذلك إلا بالهدى ورابعها تجلي أنوار الرحم الإلهية وتختص بالنفوس الكاملة المستعدة بما حصل لها من الكمال للظاهر والباطن لذلك وقال الإمام : الموعظة إشارة إلى تطهر طواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة والشفاء إلى تطهر الأرواح عن العقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة وهو الطريقة والهدى إلى ظهور الحق في قلوب الصديقين وهو الحقيقة والرحمة إلى بلوغ الكمال والأشراق حتى يكمل غيره ويفيض عليه وهو النبوة والخلافة فهذه درجات لا يمكن فيها تقديم ولا تأخير ولا يخفى أن هذا خلاف الظاهر جدا والذي يقتضيه الظاهر كون المذكورات أوصافا للقرآن بإعتبار كونه سببا وآلة لها وجعلت عينهمبالغة وبينها تلازم في الجملة والتنكير فيها للتفخيم والهداية أن أخذت بمعنى الدلالة مطلقا فعامة أو بمعنى الدلالة الموصولة فخاصة

وحينئذ يكون للمؤمنين قيد الأمرين ويؤيد تقييد الهدى بذلك قوله سبحانه : هدى للمتقين فالقرآن واعظ لما فيه من الترهيب والترغيب أو بما فيه من الزجر عن المعاصي كيفما كانت المقترن بالتخويف فقط بناء على التفسير الثاني للموعظة وشاف لما في الصدور من الأدواء المفضية إلى الهلاك كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها ومرشد ببيان ما يليق وما لا يليق إلى ما فيه النجاة والفوز بالنعيم الدائم أو موصل إلى ذلك وسبب الرحمة للمؤمنين الذين آمنوا به وإمتثلوا من الأحكام وأما إذا إرتكب خلاف الظاهر فيقال غير ما قيل أيضا مما ستراه إن شاء الله تعالى في باب الإشارة وإستدل كما قال الجلال السيوطي بالآية على أن القرآن يشفي من الأمراض البدنية كما يشفي من الأمراض القلبية فقد أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال :